

الحقد الذي يفجر الثورات عادةً ويطيح بالحكام ، إنه الحقد الذي حده القاطع مقصلة ... تذكرت بحسرة حقيقية أنني منذ شهر ونصف شاهدت في بلد أوروبي رجلاً يدخل بهدوء الى أحد دكاكين باعة الهدايا ويتقي عدة كرافات ويخرج بالهدوء نفسه ليقود سيارته ، وبصاحب الدكان يقول لي بفخر : هذا هو رئيس جمهوريتنا ...

وأخيراً وبعد ساعات (حوالي العاشرة والربع) سمعت الصفارات التي تتقدم المواكب (بصوتها الذي ينوح كما تنوح سيارات الإسعاف التي تكس القتل من الشوارع) ... وسارعت الى الرصيف يدفعني فضولي ... ومرت السيارات ... مرت السيارات بسرعة ، لكنني كنت واثقة من أنني رأيت ، وأنه لم يكن يتسم . صفق للسيارات بعض الصغار ، الكبار لم يصفقوا كانوا ينظرون بوجوم وبشيء يشبه خيبة الأمل السرية في عيونهم ... لم أبتسم ولم أصفق . حزنت باخلاص ، وعدت الى البيت متوعكة النفس والصحة ... كنت أعرف أن مئات المواطنين الذين تمت إهانتهم سيصمتون . بعضهم لأنه اعتاد لامبالاة السلطة بالحريسة والكرامة الشخصية في بلادنا ... وبعضهم ليس لأنه اعتاد ، ولكن لأنه ثار أكثر من مرة دون جدوى ، وقرر اعتزال الثورة واعتزال الغضب والانضمام الى الأكثرية الصامتة في هذا الشعب الحزين ... وهناك فئة أخرى ، صمتت لأنها وجدت في هذا التصرف من السلطة مظهراً من عشرات المظاهر المعبرة عن حقيقة أساسية تعاني منها أكثر أقطارنا العربية : هي استهتار الطبقة الحاكمة بالناس ، وانفصالها عنهم ... والحل لا يكون بالثورة على مظاهر هذا الاستهتار ثورات صغيرة متقطعة ... الحل هو في ثورة كبيرة تنسف جذور اللاعدالة القائمة وتقتلعها تماماً ليزول بزوالها كافة الظلم الذي ينوء تحته الشعب ، والاستهتار بحريته وكرامته ما هو إلا من بعض مظاهر هذا الظلم . من الفئة الثالثة كنت أنا . لذا لم أقل شيئاً .

وفي صباح اليوم التالي - يوم الثلاثاء - حينما غادرت الدار الى سيارتي في طريقي الى العمل ، وجدت أن (ابن الحلال) الذي تولى انقاذها من براثن الشرطة ، وكلبهم المتوحش (الونش) ، عبث بازرارها على غير هدى ليحركها وظل زر نورها مشتعلاً حتى فرغت البطارية تماماً ... والحقيقة أن الذي أثارني لم يكن فاتورة البطارية الحديدية التي بلغت المئة ليرة ، وإنما كان ورقة صفراء تفضل رجال شرطة السير مشكورين بإصاقها على الزجاج الأمامي لسيارتي : ورقة مخالفة لوقوف السيارة في مكان ممنوع (!) هو المكان الذي أيقظوني مع الفجر الباكر وأرغموني على نقل